

في مهبّ الرّيح

فور نجاح إيهودا باراك في الانتخابات الإسرائيلية، بادرنا إلى الكتابة وبشكل مكثف عن الإلزامات التي فرضها على نفسه تجاه شعبه، وبصورة خاصّة، تلك المتعلقة بالجنوب اللبناني، لأنّها تقلب رأساً على عقب الوضعين السوري واللبناني، فتلازم المسارين هو استراتيجية إسرائيلية، ولكنّ إسرائيل ليست أسيرة لها، وبإمكانها إسقاطها، مع جميع ملاحقها (الخطوط الحمر وتفاهم نيسان)، ساعة تشاء وفقاً لمصالحها، وذلك من خلال انسحاب منفرد من الجنوب، ولا يمكن بالتالي للبنان وسوريا، أن يتمسكا بشيءٍ لا قدرة لهما على فرضه وخاصّة أنّه يتجاوز كلياً القرارات الدولية التي تحدّد هيكليّة الحلّ لتحرير الأراضي اللبنانية من الاحتلال الإسرائيلي.

إنّ ما يفعله الحكام اليوم هو أخطر بكثير مما يتصوّره بعض الساسة والمسؤولين الجُهل، فلبنان الذي خاض معركته مع إسرائيل على أساس الالتزام بالشرعية الدولية، يخرج عليها اليوم بعد أن التزمت بها إسرائيل، من دون أن يكون لديه أيّ دعم أو ضمانات سوى شعاراتٍ بعيدة عن منطق الأحداث، وأقرب إلى تصرف الولد "الحدرد" الذي لا يعرف ماذا يريد.

الخطير في موضوع الحدود الجنوبية، هو أنّ تهرب السلطة من تحمّل مسؤولياتها تحت شعارات ديماغوجية تدغدغ شعور الجماهير، وتضعها بالاتجاه المعاكس لمجريات الاحداث، كالقول مثلاً بأن " لبنان لن يكون شرطياً لإسرائيل"، وبأنّها ستترك المناطق المُخلّاة من قبيل الجيش الإسرائيلي فارغة من القوى الشرعية، كما نسمع بموازاة ذلك بأن المقاومة لن تتوقف بعد الانسحاب.

إنّه من السذاجة أن يدّعي أيّ مسؤول لبناني القيام بالمحافظة على أمن إسرائيل، وهي الدولة الوحيدة في المنطقة التي ليس فقط باستطاعتها المحافظة على أمنها ولكنها قادرة أيضاً على تهديد أمن الآخرين.

فمن منطلق المحافظة على أمن الجنوب، يجب أن تعبئ الدولة أيّ فراغ يحصل بعد الانسحاب الإسرائيلي، سواءً تابعت المقاومة عملها أم توقفت، فغياب السلطة يعرّض الجنوبيين في هذه المرة إلى الرحيل بصورة نهائية، وتسليم أرضهم وممتلكاتهم خالية إلى من يبسط أمنه وسلطته على المنطقة، لأنّ الدولة اللبنانية تكون قد تخلت عنها طوعاً وبملاء إرادتها.

في غمرة هذه الأحداث المتزاحمة، يوضع اللبناني بأجواء مصطنعة، تُضاعف من قلقه المزمن لتقرض عليه حاجات أمنية جديدة تبرّر بقاء القوات السورية في لبنان بعد انسحاب إسرائيل.

لذلك يتوجّب على اللبنانيين أن يرفضوا هذه المناورات الموجهة ظاهراً إلى إسرائيل وباطناً إليهم، وقد آن لهم أن يفهموا بأن الاستقرار لن يستتب في لبنان إلا من خلال الأمن الوطني، فسوريا التي جعلت من لبنان ورقة تفاوض، ستعبت مجدداً بما تبقى من أمنه ومقدّراته للبقاء فيه، فلذلك يجب أن نسعى جميعاً لوقف الابتزاز الأخوي وإخراجها من لبنان.